

نظرية المجال - كورت ليفين - Kurt Lewin - Field Theory

د. محمود صبحي سعيد

مبادئ ليفين النظرية والجشطات

تعلم كورت ليفين نظرية الجشطات وتأثر بها حتى أنه استقى من أسسها وطبقها وطورها في مجال السلوك الإنساني للفرد والمجموعة. كانت نظرية الشكل الكلي أو الكل أو الجشطات حركة ابتكار جذرية داخل علم النفس الناشئ في بداية القرن الماضي، مما سمح بتطوير فرضيات جديدة فيما يتعلق بالظواهر النفسية وطرق البحث في مثل هذه الظواهر. بادئ ذي بدء، عارض الجشطاتيون المفاهيم الابتدائية والترابطية في القرن التاسع عشر من خلال اقتراح مفهوم الجشطات ككل. تم التعبير عن فكرة الكلية: أن الكل شيء مختلف وهو أكثر من مجموع الأجزاء التي يتكون منها. والأمر الآخر ان عقلنا يوفر هيكلًا وشكلًا للواقع، وينظم المحفزات وفقًا لقوانين خاصة به ومستقلة عن التحفيز القادم من الخارج. أي أن العقل يدرك الحقيقة والصورة أمامه بطريقة خاصة تتعلق بعمله وأدائه هو وكيف يدركها، بغض النظر عما هي بالفعل والواقع. ومن هذا المنظور تحديدًا، استكشف ليفين فكرة المجال ومفهوم وجوب دراسة الظواهر النفسية على أساس التكوين العام الذي تفترضه وعلى أساس نظام العلاقات الموجود بين الأجزاء. مثال: إن وضعت أربع نقاط فإن العقل يدركها بصورة تختلف عن حقيقتها فيمكن أن يجمعها لتصبح مربعاً أو مستقيماً أو سلسلة، برغم أنها نقاط منفردة وليست مربعاً أو خطاً مستقيماً أو سلسلة. اهتمت مدرسة الجشطات في الإدراك البصري ودراسته وبحثت فيه. بينما كورت ليفين أخذ هذه الأفكار وبنى عليها "نظرية المجال" أو الميدان. وهي أن الكل لا يساوي مجموع أجزائه وحاول إدراك سلوك الفرد والمجموعة على هذا الأساس. أي أن المبادئ النظرية للجشطات تبناها وطورها كورت ليفين (1936) في نظرية المجال.

رأى ليفين أن القوى المختلفة تتفاعل ديناميكياً في المجال أو الحقل، مع الميل إلى الحفاظ على حالة التوازن بينها. وإذا غيرت قوى جديدة هذا التوازن، فستكون هناك إعادة تنظيم للميدان. ويترتب على ذلك أن الظواهر النفسية يجب أن تدرس في خصوصيتها، وفقاً للتوازن المؤقت وليس النهائي الذي تفترضه القوى في المجال. تم تعريف المجال من قبل ليفين (1936) على أنه مجموع الحقائق الموجودة في لحظة معينة. وطبيعة هذه الحقائق ثلاثية، هي: المساحة المعيشية (مساحة الحياة) - Life Space (LS)، والبيئة الخارجية، ومنطقة الحدود.

تقترح نظرية كورت ليفين الميدانية أننا عبارة عن مزيج من كل شيء عرفناه على الإطلاق. ويمكن تعريف مساحة الحياة بأنها مجموع الحقائق التي تحدد سلوك الفرد (B) في لحظة معينة وتشمل الشخص (P) والبيئة (E). تمثل مساحة الحياة أيضًا مجمل الأحداث النفسية المحتملة.

مساحة الحياة في قلب نظرية كورت ليفين الميدانية ويمثل هذا جميع العوامل المؤثرة على سلوك الشخص في أي لحظة. ويشمل تجارب الشخص السابقة وتصوراته الحالية وأهدافه والعوامل البيئية الخارجية. اختلفت نظرة ليفين إلى السلوك عن نظرة السلوكيين. كان يعتقد أن السلوك هو وظيفة "مساحة حياة" الشخص، كما يتضح من المعادلة $B = f(LS)$ مساحة الحياة تمثل جميع العوامل التي تؤثر على قرارات الشخص، بما في ذلك تصوراته لتجاربه. ستختلف هذه التصورات والتفسيرات من شخص لآخر، وكذلك التجارب التي يدركونها ويفسرونها.

تتضمن البيئة الخارجية حقائق لا تؤثر على مساحة المعيشة في لحظة معينة، وليست موجودة في الميدان في تلك اللحظة. إن البيئة في حد ذاتها هي حالة موضوعية، ولكن يُنظر إليها بشكل ذاتي من قبل الأفراد، اعتمادًا على احتياجاتهم ومعتقداتهم وقيمهم وقدراتهم. كما أيد ليفين بيرلز وهيفرلاين وجودمان (1973) "إن التفاعل بين الكائن الحي والبيئة ... هو الذي يشكل الحالة النفسية، وليس الكائن الحي والبيئة بشكل منفصل".

تشمل المنطقة الحدودية مجموعة الحقائق التي تقع بين مساحة المعيشة والبيئة الخارجية، بين الأبعاد الذاتية والشخصية. هذه الحدود قابلة للاختراق وتسمح للبيئة الخارجية بالدخول إلى الحقل.

يعتمد أي سلوك على تكوين الحقل في تلك اللحظة المحددة. يمكن بعد ذلك تلخيص أي سلوك بالصيغة التي اقترحها Lewin $B = f(P, E)$ ، أي أن السلوك هو وظيفة الشخص بالنسبة للبيئة. تسمح هذه الصيغة لليفين بأن يذكر أن ديناميكيات العمليات يجب أن تأخذ في الاعتبار دائمًا العلاقة بين الشخص والحالة والموقف. كما يسلط ليفين الضوء على القوى المؤثرة في تحديد سلوك معين، سواء العوامل الداخلية مثل الدوافع والاحتياجات، والعوامل الخارجية.

نظرية المجال في التطبيق:

يعتقد ليفين أنه لفهم السلوك والتنبؤ به، يجب على المرء أن يأخذ في الاعتبار مجمل مساحة الحياة وليس فقط العوامل المعزولة. كان هذا النهج الشمولي ثوريًا في ذلك الوقت، وقد أثر منذ ذلك الحين على مجالات مختلفة من علم النفس، وخاصة في فهم ديناميكيات المجموعة والتغيير التنظيمي.

توفر نظرية ليفين الميدانية في جوهرها، عدسة شاملة لعرض السلوك باعتباره تفاعلاً ديناميكياً بين الفرد وبيئته، مع التركيز على أهمية السياق في تشكيل أفعالنا.

هناك العديد من "النظريات الميدانية". فنظرية حقل ليفين موجودة في عالم الفيزياء. ولا علاقة لها بنظرية المجال الكمي أو نظرية المجال البلوري. وقد تكون نظرية المجال الموحد لأينشتاين مشابهة لنظرية المجال لليفين، مما يشير إلى أن "كل شيء" متصل. ومع ذلك، فإن معظم النظريات الميدانية موجودة في الفيزياء، وليس في علم النفس.

كما استلهم ليفين الرياضيات والفيزياء من أجل "رسم خريطة" لمجال الفرد. (يُعرف هذا المجال أيضاً باسم البيئة). توجد في بيئة الفرد جميع العوامل التي قد تؤثر على قرارات الشخص أو سلوكياته.

ومن أمثلة هذه العوامل ما يأتي:

الخبرة التي يحملها الفرد

وسائل الإعلام التي يتابعها

الأشخاص والأفكار التي تواصل بها الفرد

فهم الأعراف والقواعد الاجتماعية

قد تكون هذه الحقول متشابهة من شخص لآخر، ولكن لن يبدو أي حقلين متماثلين. تختلف كل بيئة عن الأخرى في نهاية المطاف، لأنها تضم جميع تجارب الفرد ومشاعره، والعديد منها فريدة بالنسبة له.

يعتقد ليفين أنه لتحليل شخص أو موقف ما، يجب أخذ البيئة بأكملها في الاعتبار. يجب اعتبار كل تجربة مهمة، حتى تلك التي قد لا تبدو ذات صلة أو مهمة. وهذا يعني أن التعليق الذي أدلى به أحد المارة أو حفلة عيد ميلاد الطفولة قد يساهم في البيئة والسلوك العام للفرد.

ما هي العوامل التي تشكل "الشخص"؟

القيم أو المعتقدات التي يحملها الفرد وتصوراتته ومشاعره تجاه تجارب معينة، والقدرات والمهارات وخصائص أخرى للفرد، والدوافع التي تحرك الفرد نحو هدف أو آخر (المعروفة أيضاً باسم "المتجهات"). مساحة الحياة هي ديناميكية. فكل يوم يأتي بتجارب جديدة، وعندما يتطور الأفراد ويتعلمون ويتغيرون، فإن "شخصهم" سوف يتغير ويشكل مساحة حياتهم. إن التفاعل بين الشخص وما مر به سيحدد سلوكه في النهاية.

مساحة الحياة في كلمات كيرت ليفين

المساهمات الأساسية الأخرى لعمل ليفين هي تلك المتعلقة بتنظير المجموعة ككل وديناميكية ومنهجية البحث العملي، الذي يجمع بين البعد المعرفي للظاهرة وممارسة التدخل النشط.

منذ سنوات عديدة، قبل أن يكون هناك فرع من علم النفس يسمى علم النفس الاجتماعي، كانت السلوكيات تُفهم على أنها ردود أفعال بسيطة. كانت النظرية السلوكية هي النظرية الشائعة، واستخدم العلماء افتراضاتها لمحاولة تفسير السلوك. عندما يضربنا شخص ما، نتفاعل من خلال حماية أنفسنا لصد الهجوم أو منع هجوم لاحق. وهكذا، ضمن هذا النموذج، كانت المحفزات والارتباطات هي ما تم تصميم السلوك عليه.

ومع ذلك، كانت العلاقة بين التحفيز والاستجابة بسيطة للغاية. لقد تركت السلوكية الإدراك والأفكار البشرية جانباً. ولم يؤخذ في الاعتبار حقيقة أن السلوكيات هي نتيجة للتفاعل بين الناس والبيئة (Caparrós، 1977). لقد كان كورت ليفين هو من أدرك ذلك. صاغ عالم النفس هذا نظريات مختلفة، بما في ذلك النظرية الميدانية، مع التركيز على تفاعلات المجموعات مع البيئة. وبفضل دراسته يعتبر أحد آباء علم النفس الاجتماعي.

إن نظرية المجال مستوحاة من نظرية المجال في الفيزياء، وضع كورت ليفين شرطين أساسيين لنظرية المجال في علم النفس. الأول: هو أن السلوك يجب أن يُستنتج من مجموعة من الحقائق المتعايشة (فيرنانديز، 1993). والثاني يقول: إن تلك الحقائق المتعايشة لها طابع "المجال الديناميكي"، وحالة كل جزء من المجال تعتمد على جميع الأجزاء الأخرى.

المجال في الفيزياء هو منطقة من الفضاء توجد فيها خصائص ممثلة بكميات فيزيائية (درجات الحرارة، القوى، إلخ). استخدم ليفين المفهوم الفيزيائي لـ "مجال القوة" (Lewin, 1988) ونظريته الميدانية لشرح العوامل البيئية التي تؤثر على السلوك البشري.

فالسلوك في رأيه لا يعتمد على الماضي ولا حتى على المستقبل، بل على الحقائق والأحداث الحالية وكيفية إدراك الذات لها. الحقائق مترابطة وتشكل مجالاً من القوى الديناميكية التي يمكن تسميتها بمساحة المعيشة.

ويصبح الفضاء الحيوي، أو مجال القوة النفسية، هو البيئة التي تشمل الإنسان وإدراكه للواقع المباشر. إنها في النهاية مساحة ذاتية تعكس الطريقة التي ننظر بها إلى العالم بتطلعاتنا وإمكاناتنا ومخاوفنا وتجاربنا وتوقعاتنا.

علاوة على ذلك، فإن لهذه المنطقة بعض الحدود، والتي تحددها في المقام الأول الخصائص المادية والاجتماعية للبيئة.

يسمح لنا منهج نظرية المجال لكورت ليفين بدراسة سلوكنا من منظور كلي، دون التوقف عند تحليل الأجزاء بشكل منفصل. تأثير المجال النفسي على السلوك هو تأثير يعتقد ليفين أنه يحدده: إذا لم يكن هناك تغيير في المجال، فلن يكون هناك تغيير في السلوك بالنسبة لليفين، ولا ينبغي لعلم النفس أن يركز على دراسة الشخص والبيئة كما لو كانا جزأين يتم تحليلهما بشكل منفصل، بل يجب أن يرى كيف يؤثر كل منهما على الآخر في الوقت الفعلي.

المتغيرات ذات الصلة

كما هو الحال في مجال القوة، تؤثر جميع الأجزاء على بعضها البعض. ولفهم سلوكنا يجب أن نأخذ في الاعتبار جميع المتغيرات التي تؤثر عليه في الوقت الحقيقي، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي. ولا يمكن تحليل هذه العناصر بمعزل عن غيرها، بل يجب التركيز على دراسة تفاعلاتها حتى تكون لدينا رؤية شمولية لما يحدث. ولتفسير ذلك، قدم ليفين (1988) ثلاثة متغيرات تعتبر أساسية. هذه المتغيرات هي الآتية:

القوة: القوة هي سبب الأفعال والدافع، فعندما تكون هناك حاجة، يتم إنتاج قوة أو مجال قوة، مما يؤدي إلى تحقيق النشاط. هذه الأنشطة لها قيمة يمكن أن تكون إيجابية أو سلبية. وبدوره، فإن تكافؤ الأنشطة يوجه القوى نحو أنشطة أخرى (إيجابية) أو ضدها (سلبية). ويستجيب السلوك الناتج للمزيج النفسي للقوى المختلفة.

التوتر: التوتر هو الفرق بين الأهداف المحددة والحالة الراهنة للشخص. التوتر داخلي ويدفعنا لإكمال النية.

الضرورة: تثير التوترات المحفزة. عندما تكون هناك حاجة جسدية أو نفسية لدى الفرد، تستيقظ حالة من التوتر الداخلي. حالة التوتر هذه تؤدي إلى تغيير النظام للشخص، لمحاولة استعادة الحالة الأولية وإشباع الحاجة.

يقول ليفين إن نظرية المجال تحدد السلوكيات الممكنة والمستحيلة بناءً على الموضوع. وتتيح لنا معرفة مساحة المعيشة التنبؤ بشكل معقول بما سيفعله الشخص. كل السلوكيات، أو على الأقل كل السلوكيات المتعمدة لها.

الدوافع

يقول كيرت ليفين إنه يمكن تفسير أفعالنا بدءًا من حقيقة واحدة: نحن ندرك مسارات ووسائل محددة للتخلص من بعض التوترات. نحن ننجذب إلى تلك الأنشطة التي نرى أنها وسيلة للتخلص من التوتر. بالنسبة لكورت، ستكون لهذه الأنشطة قيمة إيجابية، وبالتالي سنختبر قوة تدفعنا إلى تنفيذها. الأنشطة الأخرى سيكون لها تأثير معاكس: فهي تزيد من التوتر وبالتالي يكون لها تأثير مثير للاشمئزاز.

لكي نفهم هذه الحقيقة بشكل أفضل، دعونا نرى حاجة مشتركة للجميع: الحاجة إلى الاعتراف. عندما نشعر بهذه الحاجة، سوف يستيقظ فينا الدافع لكسب الاعتراف في أي مجال. سيكون لهذا الدافع قيمة إيجابية سنقودنا إلى العمل من أجل الحصول على الاعتراف.

سوف يتطور التوتر بين الوضع الحالي والحاجة إلى الحصول على الاعتراف. كل هذا سيقودنا إلى التفكير في الإجراءات الممكنة للحصول على الاعتراف، واعتمادًا على المجال الذي نريد أن يتم الاعتراف بنا فيه، سنقوم بتنفيذ الإجراء الذي نعتقد أنه يمنحنا إمكانية الحصول على هذا الاعتراف. إذا الدوافع: تثيرها التوترات، وتحركها القوى، ويوجهها التكافؤ، ولها هدف.

البحث العملي أو الإجرائي - Action Research

التوجهات النظرية والمنهجية: كورت ليفين

يُنظر إلى البحث العملي على أنه إجراء شبه تجريبي (نظرًا لأنه يتضمن تجارب ميدانية، أي يتم إجراؤها على مجموعات حقيقية في سياقات تجريبية) يهدف من ناحية إلى إحداث تغييرات مضبوطة (أي مخططة) في المجتمع الاجتماعي. ويهدف من ناحية أخرى في هذا المجال (التغيير المخطط)، لاكتساب معرفة قابلة للتعميم فيما يتعلق بموضوع التحقيق والبحث. هذا هو تعريف ليفين للبحث العملي.

ماذا يعني التغيير المتحكم فيه في المجال الاجتماعي؟ على سبيل المثال، المشكلة الاجتماعية هي تعاطي المخدرات، وعلينا أن نحاول إدخال تغييرات تهدف إلى الحد من هذه المواد.

في الصياغة الكلاسيكية، من حيث تطور العملية، يتم تمييز 5 مراحل:

1. مرحلة التشخيص (الأولي --> تحديد المشكلة --> تتمحور حول الجوانب المعرفية، والتي تسمح بتعريف المشكلة وفهمها، من أجل صياغة الفرضيات التي يمكن بعد ذلك توجيه المرحلة الثانية)
2. التخطيط أو التصميم (جمع البيانات والمعلومات --> أنا أقرر ما هي الأهداف وما هو السياق)
3. التنفيذ (تنفيذ الإجراءات المخطط لها)
4. التقييم (يتم تقييم ما إذا كانت الأهداف المحددة في مرحلة التخطيط قد تحققت في مرحلة التنفيذ)
5. التعلّم (أي التفكير في عملية إطلاق دورة جديدة من التدخل والتفكير في كيفية تعميم ما تم تعلّمه من هذه الدورة).

أساس البحث العملي الكورت ليفيني هو نظرية حقل ليفين --> أحد التأكيدات الأساسية للنظرية هو أن أي سلوك أو تغيير داخل المجال النفسي، يعتمد على التكوين المحدد له في تلك اللحظة المعينة، حيث إن المجال النفسي هو كل من الحقائق التي تتعايش في ترابط. والجانب الرئيسي الذي ينبغي التأكيد عليه هو الاعتماد المتبادل: فقوانين هذا المجال لا تستمد من خصائص العناصر الفردية الموجودة، بل من النظام بشموليته واتجاه القوى المؤثرة. وبالتالي فإن المجال هو في الأساس نظام ديناميكي باستمرار.

إن مفهوم البيئة النفسية مهم أيضاً: فهو يشير إلى حاجة عالم النفس إلى اتخاذ نقطة مرجعية في تحليل العلاقة بين العوامل النفسية (الاتجاهات والدوافع والمعرفة) والعوامل غير النفسية (العناصر التي تشكل السياق). حياة الناس والمجموعات، على سبيل المثال: القوانين، ونظام الاتصالات، والاقتصاد، وما إلى ذلك.

بالنسبة لليفين، نقطة البداية لإنتاج التغييرات ليست الأفراد، بل المجموعات --> فرضية ليفين الأساسية هي أنه إذا أردنا إحداث تغييرات، فيجب ألا نبدأ من الفرد، بل من المجموعة (البدء من الأفراد، يمكن أن يكون مفيداً إذا أردنا رفع مستوى وعيهم، لكن ذلك ليس فعالاً للغاية إذا أردنا محاولة تغيير سلوكهم).

في نظرية البيئة النفسية، يجب أولاً جمع البيانات غير النفسية (وهذا يمكن تعريفه أيضاً بتحليل السياق) --> عندها فقط يمكن اتخاذ الخطوة التالية، أي تطوير التحليل النفسي، والعوامل النفسية المؤثرة في سلوك الجماعات والأفراد.

يمكن إنتاج التغييرات بدءاً من المجموعات --> التعريف الكورت ليفيني للمجموعة: "المجموعة هي شيء أكثر، أو على الأقل شيء مختلف، من مجموع أعضائها، ولها هيكلها الخاص الغريب، وعلاقات خاصة مع مجموعات أخرى. ما يشكل جوهرها ليس التشابه أو الاختلاف بين أعضائها، ولكن الاعتماد المتبادل. ويمكن

تعريفها على أنها كلفة ديناميكية. وهذا يعني "أن التغيير في حالة أي جزء، أو جزء من.. إنه يؤثر على الحالة الصحية لجميع الآخرين."

لماذا تعتبر المجموعة مهمة جدًا في البحث العملي وهل هي أداة التغيير؟

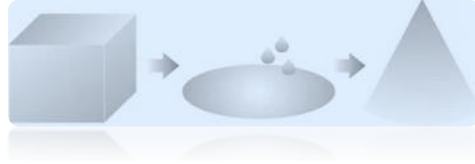
لأنه إذا كانت الجماعة مجالاً من القوى فإنها ستتسم بتوازنات شبه ثابتة، أي ناتجة عن تجمع من القوى والتوترات المتناقضة التي تحدد استقرار حياة الجماعة عند مستوى معين من التوازن الذي يميل إلى إدامة نفسه (مثلاً: حجم إنتاج فريق من العمال). لذلك، بالنسبة لليفين، التغيير يعني تعديل هذا التوازن (يتم تصور التغيير على أنه الانتقال من حالة توازن إلى أخرى)، وهو ما يعني تعديل المعايير، والعناصر المعيارية للمجموعة (نظرًا لأن سلوكنا يتأثر باستمرار بالأنظمة المعيارية الضمنية والصريحة). إذا أردنا إحداث تغيير اجتماعي، فيجب علينا أولاً تغيير معايير المجموعة.

لإثبات قوة هذه المعايير على الأفراد، يقول ليفين إن عواقب الانحراف عن هذه المعايير: "أولئك الذين ينحرفون بشكل مفرط سيجدون أنفسهم منغمسين في صعوبة أكبر من أي وقت مضى، ويتعرضون للسخرية، والتوبيخ الشديد، وفي النهاية يُطردون من المجموعة."

وبالتالي، فإن معظم الأفراد يلتزمون بشكل وثيق بمعايير المجموعة التي ينتمون إليها أو التي يرغبون في الانتماء إليها.

وهذا الميل نحو التوازن يشكل عامل مقاومة للتغيير --> لذلك في كل مرة يتم التخطيط للتغيير يكون السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما هي عوامل المقاومة وكيف نتعامل معها؟ وفقاً لليفين، من الأسهل تغيير موقف أو سلوك من خلال موقف مقارنة جماعي بدلاً من العمل على فرد واحد: يميل الناس إلى التوافق مع معايير المجموعة التي غالبًا ما لا يتم توضيحها والتي تزيد من المقاومة الفردية؛ ومن خلال العمل على المجموعة ومعاييرها، سيكون من الأسهل التغلب على المقاومة الفردية. علاوة على ذلك، فإن حالات التفاعل الجماعي تخلق درجة أكبر من المشاركة، ومستوى عالياً من المقارنة الاجتماعية، وتوحيداً أكبر للقرارات المتخذة.

يحدد ليفين ثلاث مراحل ضرورية لإحداث التغيير في المجموعة - Three-Step Model of Change



1. اختلال التوازن أو مرحلة الذوبان – **Unfreeze**. إلغاء تجميد المستوى الحالي

2. المرحلة التي يتم فيها تطوير معيار جديد – التحول - **Change**

3. مرحلة إعادة التجميد – **Refreeze**. تجميد حياة المجموعة على المستوى الجديد (الوصول إلى توازن جديد، والذي سوف يميل إلى ديمومة نفسه مثل السابق، وبالتالي، إذا كنت ترغب في تنفيذ تغيير آخر سيكون عليك تكرار الدورة بأكملها). وبما أن أي مستوى يتم تحديده بواسطة مجال القوة، فإن الدوام يعني أن مجال القوة الجديد أصبح أمناً نسبياً ضد التغيير (ليفين، 1947).

من أين يأتي كل هذا التصور؟ من تجارب ليفين التي بدأت في عام 1947، على سبيل المثال البحث عن عادات الأكل (كان العميل هو الحكومة، التي لجأت إلى مجموعة من الخبراء بما في ذلك ليفين، حتى يتمكنوا من تجربة استراتيجيات مختلفة لإحداث تغييرات في عادات الأكل (وخاصة زيادة استهلاك بعض الأطعمة التي لا يستهلكها الأمريكيون عادة).

أهداف البحث:

• تحديد أين وكيف تتقاطع العوامل النفسية مع العوامل غير النفسية (البيئة النفسية) من خلال المقارنة بين مواقف وسلوكيات المسؤولين عن اختيارات الشراء للأسر التي تنتمي إلى مجموعات عرقية مختلفة.

• التعرف على العوامل النفسية التي تؤثر على الشخص الذي يشتري ويعد الطعام.

• تصميم وتنفيذ تجارب للكشف عن الظروف التي يمكن أن تساعد في إحداث تغييرات في عادات الأكل.

الجانب الحاسم هو تحديد من هم حراس البوابة كما يقال، أي من يتخذ القرارات المتعلقة بالمشكلة التي نتعامل معها (في هذه الحالة، الشراء، وبالتالي من يقوم بالتسوق) -- هنا الأهميات، وبالتالي يجب أن يشارك. ويجب أن نفهم ما الذي يحدد قراراتهن --> تعتمد قراراتهن أيضًا على الأيديولوجيات، ويعني بالأيديولوجية نظام المعتقدات والقيم، الذي يحدد ما يعتبره حراس البوابة جيدًا أو سيئًا (في هذه الحالة ما هي الأطعمة التي يعتبرونها جيدة وما هي الأطعمة التي يعتبرونها ضارة).

من هنا يمكن القول إن نفسية ولي الأمر تتضمن عاملين:

* العوامل المعرفية (تمثيل الغذاء "لنا"، للزوج، للأبناء)، وتلك التي سبق ذكرها.

* العوامل التحفيزية (أنظمة القيمة المستخدمة للحكم على الأطعمة وشرائها، وهي: التكلفة، الصحة، الطعم، الحالة).

يشمل البحث الأول 107 ربات بيوت ينتمين إلى 3 طبقات اجتماعية واقتصادية مختلفة مقسمة حسب الدخل (منخفض، متوسط، مرتفع) وينتمين إلى أكبر أقليتين عرقيتين في تلك المنطقة (التشيكوسلوفاكين والأمريكيين من أصل أفريقي).

في هذه المرحلة، يتم إجراء المقابلات لاستكشاف العوامل المعرفية والتحفيزية لربات البيوت.

يتبين أن أهمية أنظمة القيمة المستخدمة للحكم على الأطعمة تختلف بالنسبة للمجموعات المختلفة (على سبيل المثال انخفضت أهمية الصحة مقابل محدودية الدخل). يتساءل ليفين أيضًا عن المجموعات التي تواجه أكبر صراع عند الشراء -> إن الطبقة الوسطى، التي يعتبر المال أهم قيمة بالنسبة لها، هي التي تواجه أكبر صراع. وعلى أساس مرحلة التحقيق الأولى هذه، يجب على الباحثين أن يقرروا ما يتعين عليهم القيام به لإحداث التغييرات.

ولهذا الغرض تبدأ المرحلة الثانية، والتي يتم فيها تشكيل مجموعات من 13-17 شخصًا تقريبًا. لقد كانت مجموعات تجريبية ولم يتم تشكيلها خصيصًا، نظرًا لأن الأشخاص كانوا يجتمعون بالفعل لحضور دورة تدريبية حول الإسعاف الأولي. تم تحديد شرطين تجريبيين: مجموعة المؤتمر ومجموعة المناقشة/القرار. يشارك الأشخاص في المؤتمر في حدث يقدم فيه خبير التغذية سلسلة من المعلومات المتعلقة بأنواع مختلفة من الأطعمة (خاصة الخصائص الغذائية) ويحاول إحداث تغيير بهذه الطريقة، والتأثير على الأفراد. في الحالة الثانية يوجد

ميسر وموجه مجموعات وخبير في قيادة المناقشات الجماعية، والذي يعرض المشكلة بإيجاز ثم يسأل النساء عن آرائهن ومقترحاتهن من أجل جذب فعال. بعد 7 أيام تم التحقق من آثار المؤتمر وقرار المجموعة: 32% من النساء في مجموعة المناقشة – القرار، غيرن سلوكهن (مقابل 3% في مجموعة المؤتمر).

الاستنتاجات

الخصائص المنهجية لبحوث التدخل وفق النموذج الكلاسيكي:

- * إنها عملية لولبية تتضمن تصحيح الافتراضات بشكل مستمر من خلال العمل.
- * يتم التحقق من التأثيرات، من خلال جمع بيانات جديدة يمكن أن تؤدي إلى إعادة صياغة المشكلات.
- * ترتبط عملية التغيير بعملية التعلم ارتباطاً وثيقاً، وهناك جانب أساسي آخر للنهج الكلاسيكي وهو مشاركة الجهات الفاعلة. ومع ذلك، فإن النقد الذي سيظهر مع مرور الوقت فيما يتعلق بالنهج الكلاسيكي هو أن المشاركة مفيدة، بمعنى أن الإجراء يتم مراقبته من قبل الباحث طوال الوقت، وبالتالي فهو الذي يحدد الفعل (في الواقع الأمهات هن يشاركن فقط في مرحلة المناقشة الجماعية واتخاذ القرار، لكنهن لا يشاركن في المراحل السابقة) --> تعد مشاركة الجهات الفاعلة ضرورية لضمان جودة البيانات التي تم جمعها واستقرار التغييرات المفترضة، ولكنها مفيدة للبحث الذي يحدده ويخطط له الباحث، وهو الضامن الوحيد لموثوقية وصحة البيانات.
- > المعرفة التي ينتجها الباحث وتعلق بدديناميكية القوى المؤثرة من أجل تحديد القوانين القابلة للتعميم للظاهرة قيد الدراسة.

إن عملية البحث هي عبارة عن عملية حلزونية لولبية، من خلال هيكل من أربع خطوات للتخطيط والعمل والملاحظة والتفكير: الأخير يسمح بإعادة فتح الدائرة، مما يسمح بتخطيط جديد وإجراءات جديدة.

هناك من انتقد هذا المنهج الكلاسيكي --> كان التوجه "التجريبي" للبحث الإجرائي موضع انتقاد لأنه لا يغير دور الباحث والموضوع، وتبقى مهمة الباحث هي تخطيط العمل وتحديد الهدف. الفعل هو تصميم تجريبي مسبق، وهو يتحرك (على الأقل في الاتجاه) في نظام استنتاجي افتراضي: النظرية تسبق الفعل (لأنها تسمح بالتخطيط له) ويمكن التعبير عنها بشكل مباشر تماماً في الفعل. إنها نتيجة مبادرة الباحث، والعلاقة بين الباحثين والفاعلين ليست موضوعاً للبحث، ولا مصدرًا لبيانات مفيدة. لذلك لا تزال طريقة تقليدية لإجراء البحث.

بعد وفاة ليفين أصبح هذا الأسلوب هامشياً وأصبح النموذج السائد بحثاً تجريبياً، لذلك هناك عدد قليل من الجامعات التي استمرت فيها التجارب في مجال البحث الإجرائي، والذي أصبح بشكل خاص في مجال البحث التنظيمي والاستشاري.

بدءاً من ثمانينيات القرن الماضي (عندما وُلد علم النفس المجتمعي أو الاجتماعي)، عادت الأبحاث الإجرائية إلى الرواج وعادت للظهور في مجالين متميزين:

(1) في التقاليد الإنجليزية - وخاصة في مجال الدراسات التربوية - يُنظر إلى البحث العملي على أنه شكل من أشكال البحث الموجه نحو الممارسة. كما يعرفه كار وكيميس - Kemmis & Carr (1986) على النحو التالي: "البحث العملي هو شكل من أشكال التحقيق الانعكاسي الذاتي الذي يقوم به المشاركون في المواقف الاجتماعية من أجل تحسين عقلانية وملاءمة ممارساتهم الخاصة، وفهم هذه الممارسات والمواقف التي يتم فيها اعتماد هذه الممارسات". وبهذا المعنى، يقترب البحث العملي من فكرة الممارسة التأملية.

(2) في الولايات المتحدة الأمريكية، يُنظر إلى البحث الإجرائي على أنه "جمع منهجي للمعلومات من أجل تعزيز التغيير الاجتماعي". ومن وجهة النظر هذه، يرتبط البحث الإجرائي بتقاليد تنظيم المجتمع وتنميته. ويبدو أن المشاركة أمر أساسي وجزء من دور الباحث. وبالرغم من ذلك، تحافظ هذه النماذج على بعض الافتراضات الكورت ليفينية الأساسية:

* يعتبر العمل أداة متميزة ليس فقط لإنتاج التغييرات ولكن أيضاً لإنتاج المعرفة.

* إن التفكير في العمل ينتج معرفة لا يمكن الحصول عليها بطريقة أخرى.

* يتضمن البحث العملي دائماً أشكال مشاركة الأشخاص ويتطلب تعاونهم.

وبالنهاية نلخص هنا انه ما يميز هذه النماذج هو: الممارسة التأملية ومبدأ المشاركة. إضافة للتأكيد على العلاقة بين الباحث والفاعل. لم يعد هناك باحث يقوم بتجربة، بل هناك مجموعة، والباحث جزء منها - < إنه نوع من البحث الجماعي، الذي يشمل الباحث والمشاركين.

References

- Bogdan, R. C. and Biklen, S. K. (1992) *Qualitative Research for Education*, Boston: Allyn and Bacon
- Bradford, L. P., Gibb, J. R., Benn, K. D. (1964). *T Group theory and laboratory method*, New York: John Wiley.
- Brown, R. (1988) *Group Processes. Dynamics within and between groups*, Oxford: Blackwell.
- Carr, W. and Kemmis, S. (1986) *Becoming Critical. Education, knowledge and action research*, Lewes: Falmer Press.
- Carr, W., & Kemmis, S. (1986). *Becoming Critical: Education Knowledge and Action Research* (1st ed.). Routledge. <https://doi.org/10.4324/9780203496626>
- Correy, S. M. (1949) 'Action research, fundamental research and educational practices', *Teachers College Record* 50: 509-14.
- Deutch, M. (1949) 'A theory of cooperation and competition', *Human Relations* 2: 129-52
- Elliott, J. (1991) *Action Research for Educational Change*, Buckingham: Open University Press.
- Gastil, J. (1994) 'A definition and illustration of democratic leadership' *Human Relations* 47/8: 953-75. Reprinted in K. Grint (ed.) (1997) *Leadership*, Oxford: Oxford University Press.
- Gold, M. (ed.) (1999) *The Complete Social Scientist. A Kurt Lewin Reader*.
- Hall, C.S. and Lindzey, G. (1978) *Theories of Personality* 3e, New York: John Wiley and Sons.

- Johnson, D. W. and Johnson, R. T. (1995) 'Positive interdependence: key to effective cooperation' in R. Hertz-Lazarowitz and N. Miller (eds.) *Interaction in Cooperative Groups. The theoretical anatomy of group learning*, Cambridge: Cambridge University Press.
- Kariel, H. S. (1956) 'Democracy unlimited. Kurt Lewin's field theory', *American Journal of Sociology* 62: 280-89.
- Kemmis, S. and McTaggart, R. (1988) *The Action Research Planner*, Geelong, Victoria: Deakin University Press.
- Kolb, D. A. (1984) *Experiential Learning. Experience as the source of learning and development*, Englewood Cliffs, NJ.: Prentice-Hall.
- Lewin, K. (1935) *A dynamic theory of personality*. New York: McGraw-Hill.
- Lewin, K. (1936) *Principles of topological psychology*. New York: McGraw-Hill.
- Lewin, K. (1948) *Resolving social conflicts; selected papers on group dynamics*. Gertrude W. Lewin (ed.). New York: Harper & Row, 1948.
- Lewin, K. (1951) *Field theory in social science; selected theoretical papers*. D. Cartwright (ed.). New York: Harper & Row.
- Lewin, K. and Lippitt, R. (1938) 'An experimental approach to the study of autocracy and democracy. A preliminary note', *Sociometry* 1: 292-300.
- Lewin, K., Lippitt, R. and White, R. (1939) 'Patterns of aggressive behaviour in experimentally created "social climates"', *Journal of Social Psychology* 10: 271-99.
- Lewin, K. and Grabbe, P. (1945) 'Conduct, knowledge and acceptance of new values' *Journal of Social Issues* 2.
- Lippitt, R. (1949) *Training in Community Relations*, New York: Harper and Row.

McTaggart, R. (1996) 'Issues for participatory action researchers' in O. Zuber-Skerritt (ed.) *New Directions in Action Research*, London: Falmer Press.

Marrow, A. J. (1969) *The Practical Theorist. : The Life and Work of Kurt Lewin*, New York: Basic Books

Reid, K. E. (1981) *From Character Building to Social Treatment. The history of the use of groups in social work*, Westpoint, Conn.: Greenwood Press.

Schein, E (1995) 'Kurt Lewin's Change Theory in the Field and in the Classroom: Notes Toward a Model of Managed Learning', *Systems Practice*, <http://www.solonline.org/res/wp/10006.html>

Stringer, E. T. (1999) *Action Research 2e*, Thousand Oaks, CA.: Sage.

Ullman, D. (2000) 'Kurt Lewin: His Impact on American Psychology, or Bridging the Gorge between Theory and Reality', <http://www.sonoma.edu/psychology/os2db/history3.html>

Webb, G. (1996) 'Becoming critical of action research for development' in O. Zuber-Skerritt (ed.) *New Directions in Action Research*, London: Falmer Press.

Winter, R. (1987) *Action-Research and the Nature of Social Inquiry. Professional innovation and educational work*, Aldershot: Avebury.

Yalom, I. D. (1995) *The Theory and Practice of Group Psychotherapy 4e*, New York: Basic Books.

Links

Force field analysis – brief article at accel-team.com

Kurt Lewin – timeline and brief biography – prepared by Julie Greathouse plus a brief description of his theoretical contribution to psychology

the groupwork pioneers series

Bibliographical reference: Smith, M. K. (2001). 'Kurt Lewin, groups, experiential learning and action research', *The encyclopedia of pedagogy and informal education*. [<https://infed.org/mobi/kurt-lewin-groups-experiential-learning-and-action-research>].

موقع الجليل للخدمات النفسية

د. محمود صبحي سعيد

متخصص بعلم النفس التربوي والعيادي والصدمي